

مترجمات سمر شيخاني

بقلم علي زريعور

ومن بعد طيه وتنسيقه مع التمثلات الخارجية او الاطوار الاجتماعية لهذا الاثر نفسه .

عديدة جدا كتب او مترجمات سمر شيخاني فقد يتجاوز عددها الخمسين عدا مجموعات اكثر يقول انها تحت الطبع او معدة لذلك . وهو بهذا يكون قد وفر للمكتبة العربية رفوفا حوت الكثير مما كان ينقصها من الادب المسرحي او الفني عامة مما يفتح النوافذ على الادب الغربية وفي ذلك ما فيه من فوائد وصوالح وغنى للثقافة العربية والادب . ان خير ما يمثل هذا النوع من الادب هو كتابه الاخيران ... وارتفع الستار ثم ... وانسد الستار . فهذان يدلان على تفكيره وفهمه للعمل الادبي من جمع وتبويب ثم تكديس او توضيب . ان بعض المسرحيات التي يقدمها الكتابان ، معروف في اللغة العربية الا ان الشكل هنا هو الجديد اذ ان القالب الاصلي نقل تحت فنيته الحوارية ودون تلخيص او عصر وتكثيف . لنقل ذلك عن مسرحية الرسالة لسمرست موم فهي معرونة عندنا من قبل ولكن بشكل مبتور ومشوه لا بصورتها الاولى التي تتحرك فيها الستائر والانوار والمناظر . كذلك الشيء نفسه عن مسرحية الزوج الخالد لدرستوفسكي وغيرها دون ان يعني هذا ان سائر المضمون في الكتاب مترجم من قبل ، فالترجم سمر شيخاني يحسن اختيار المسرحيات لتقدمها وقد يمكن القول ان الاختيار الصالح يدل على فهم متقدم للعمل المسرحي فكان الاختيار هنا شبه عمل فني لا يهبط كثيرا عن المستوى في التأليف .

وفي كتابه الاخير « ... وارتفع الستار » اختار تسع مسرحيات منتقاة من الادب العالمية او من هذا الادب الانساني الذي ينتهي اليه كل فرد من اي موطن او جنسية كان .

يلاحظ في هذه الترجمة ان حظ لويجي بيراندلو وفي ، فساحر صقلية كما يقال عن بيراندلو واحد من اكبر اساتذة المسرحية الحديثة وخير من بحث وكتب في الشكوك والنواحي الظنيصة والتساؤلية . ويقدم سمر شيخاني مسرحية المزمة وكانها تمثل تمثيلا جليا هذه النظرة لادب بيراندلو ، كذلك فان المسرحيتين الباقيتين لا تختلفان كثيرا عن « المزمة » من حيث قياسهما وارتكازهما على الشك والتساؤم والفيرة وما اشبه في الحياة الزوجية . ولعل ذلك ناتج عن حياة لويجي الخاصة المنصفة بالقلق والمتاعب البيتية ، الا ان هذا ايضا انعكاس الاوضاع المجتمعية والنظرة العامة للحالة والشكل التي هي فيها العلاقات الزوجية في ايطاليا واوروبا بوجه عام .

وللمزمة تمثيلية من فصل واحد تحيا فيها « الانا » القلقة الخائنة حياة تاكلها وتستغضب قواها الشكوك في حقلين نفسيين : الاول يضم الزوجة جوليا مع عشيقها انطونيو وهما فسي شك بمعرفة الزوج او اطلاله السطحي على علاقتهما الائمة ، بينما تجري حوادث الحقل الثاني بين الزوج ندرية فابري وزوجته حيث يحيا هنا وينمو مرتفعا منخفضا الشك عندها في تهمة زوجها لها . وتسجيل الحوادث متلاحقة نحو نهاية يدفع اليها الزوج دفعا نفسانيا زوجته فتضع حدا لشكوكها بالمعرفة والانتحار .

استرعى انتباهي اخيرا نتاج وفير متسع الجينات وجم الجنسي ومتعدد النواحي . وقد القى على هذه الاعمال صفة الادب السمعي او ادب الاذن .

فما هو هذا الادب ومن هو هذا الاديب ؟ وهل لادب هو اصطلاحيا قابل لان يسمع او ينظر اكثر من ان يقرأ وينسق ويجمع اكثر مما يخلق ويبدع ، قيميات مترتبة تدرج تحت لوائح او تخضع لهرميات ؟ كان الحكم الاول ان القيمة الانسانية لفنية هذا الانتاج قد اندغمت مسع منفعلة جلي له ، وتوافق الوجهان لهذه الظاهرة الادبية الوجه الواقعي المنفعي والوجه الجمالي المنسلخ عن الفهم رفعة ورونقا .

ويبقى المذهب النقدي في مفهومه ومضمونه ووحدته كما سبق ان عرض في « الادب » في عددها الممتاز الذي خصصته للنقد الادبي عام ١٩٦١ ، وهو منهجا في احترام الاثر الادبي واخذه ككائن له قيمته الاخلاقية التي لا تضاهيها قيمة الاشياء المادية مهما غلا ثمنها وبهظ سعرها . فمهما كانت متواضعة اثار الانسان الفنية تبقى ارفع واقيم من اندر ماديات الحياة الحسية . لذلك كان كواجب مفروض او على الاصح كحدث واقعي اماننا محبة هذا العمل الذي يراد نقده وتعييره . ان رفض المحبة كواجب لكونها لا تفرض او ليست احساسا خارجيا ولا تؤمر او تخضع لهذا او ذاك من اكرهيات خلقية كانت ام خارجية ام اجتماعية ، فاننا ننقلها كانبجاس ايماني او هوى نابغ من الداخل معقلن ومرتضى من الفكرية والموضوعية .

المحبة والاحترام هما المنهجان في المذهب النقدي ، او هما مظهران لمسلك واحد وطريقة واحدة في فهم الاثر وتدوقه من ناحية ومن ثم في تفسيره وشرحه من ناحية اخرى . فالمحبة على هذا طريقة من طرق المعرفة تدل على اخطاء او شوائب العمل الفني دون اخفائها او جعلنا متجاهلين وجود وتأثير هذه الاخطاء والشوائب .

هكذا بدونا امام اعمال سمر شيخاني الادبية : تقدير واحترام ومحبة مع تعاطف هو حركة مقصورة ومدروسة في اتجاه الفير الذي هو هنا الاديب نفسه متجسدا في كتبه كلها او انه كروح حلت في حلقات من الاعمال الفنية تتوزع بين المسرحيات والمترجمات والحواريات والكثير الوافر مما يدور حول الطرب والموسيقى والفناء واخبار واسمار يجمع ما بينها امكانية حدوث الرغبة في الاصفاء اليها او خاصيتها في جذب الانتباه ودعوتها للاهتمام .

وكان من الممكن البدء بالتعرف على آراء وتعليقات الاديب نفسه على آثاره وطريقة اخذه لقيمتها النقدية ، الا انه من ناحية اخرى قد تقع من جراء ذلك « الانا الناقدة » في اكرهيات اجتماعية خارجية تؤثر في سيرها واخذها العام للحقل النقدي . ان افضل حالة تكون فيها « الانا الناقدة » هي في ذلك الطي المسوق والمعقلن بين اكرهيات والشكليات الخارجية وبين العفوية التلقائية الصميمية للوعي النفسي بالآثر او الانعكاس الاول له على الوعي المعرفي .

بمعنى تطبيقي ان علينا التحليل والدرس ثم قبول الانفعال الناتج

وفي هذه التمثيلية نرى اوضح رؤيا تأثير الايحاء على المرأة المذنبه او الانسان المذنب بوجه عام . والمقطوعة هنا تشبه تجربة سيكولوجية تجري على المذنبين والمتهمين وذلك بدرس التأثير الانفعالي والسيطرة على الاعصاب وقوة الطبقات العليا من « الانا » على المكونات التحتية للشخصية الانسانية عندما تلقى او تدس بصورة غير ملحوظة كلمات تتعلق بالذنب والتهمة في مجرى حديث للتغطية والتعمية . في المزمة، تشك جوليا في ان زوجها قد لاحظ تقبلها لعشيقتها انطونيو الذي بدوره يخاف من الزوج وشكوكه . ويتعاقب العشيقتان ويخافان غضبة الشخص الثالث وكل ما يلقهما هو الخوف من الخوف والقلق من الخوف والقلق وانتظار النتيجة .

ويتدبر الزوج الامور ، كالم نفسي يعمل على احداث مشاعر داخلية معينة في نفس مريضه ، فيهيء حقلا يجري فيه تجاربه وخلق رغبات يتمناها عند العشييق . ويتم ذلك بالفعل اذ ينامان في غرفة واحدة يبقى ابانها انطونيو غير قادر على النوم من اثر الايحاءات من قبل الزوج التي تصل احيانا الى درجة الوضوح قبل ان تغمى او تخفى في كل يعطيها دلالات متعددة .

ولم يكتف الزوج بايلام العشييق ودفعه ثم جذبه اليه واقلاقه بفكرة وسواسية في تلك الليلة ، بل جعله يسبقه الى لقاء الزوجية حيث تبدو بجلاء براعة لويجي بيراندلو في تبيان نمو المشاعر الداخلية وصعوبة تحمل الالام النفسية . ونرى ان الجرح الذي يولده الخوف لا يعادله جرح الجسد وخاصة عندما يبدأ الزوج بالسعي لجعل امراته الدليل الحسي على تهمتها والشاهد الصادق على خيانتها فيحدثها - مظهرا جهله وعدم رغبته في ازعاجها - عن رجل خائنه زوجته وكيف سعى لكشف ذلك بهدوء واتزان . ويحاول هنا اندريه بلباقة بارعة تطبيق الامر على زوجته وعلى نفسه فيظهر لها وجهها الممتع في مرآة كانت تحملها في حقيبتها ، ثم يجاهد في جعل الاغلاط اللسانية Lapsus تسبقه وتقصدها بحيث توحى رغبته ونواياه وهكذا ...

كل ذلك بشكل يبدي الحياة النامية والسلوك التطوري لانفعال الخوف الذي يحدث التوتر النفسي الجارف ومن ثم تضعف الطبقات العليا النفسية وتخف سلطة العقل والاتزان الداخلي ويتمازج القلق مع الشك الذي يرى اشباعه بالاستسلام وفقدان الشجاعة . يردد « لماذا يشحب لوناك اينها العزيزة » في اطار الحديث العام الذي يحدث عن زوجة خائنة ، مثل هذه الفهزات والايحاءات خلقت الاستسلام وثبطت الوعي عند جوليا التي تترجح تحت وطأة آلامها النفسية المتوهجة فترجع طالبة العفو.

ولم تنل العفو - لان بيراندلو اراد التشفي او الوصول بالانفعال الى ما يخفض توتره او يزيله تماما - فتطلب رؤية ولديها ، ويزيد المؤلف في الدفع الى قمة التوتر ورفض طلبها هذا ، ثم تأتي الدموع المؤلف في الدفع الى قمة التوتر برفض طلبها هذا ، ثم تأتي الدموع تطلب الزوجة الموت فيقودها زوجها الى حيث ترى عشيقها في الحديقة وتصرخ هي رحماك وهو فرحان يصحك من الالامها ويتشفى بها .

واخيرا تسرع الى الحجرة المجاورة وتغلق الباب وراءها فيبقى اندريه منتظرا حتى يدخل انطونيو مترددا في الكلام الذي ان يسمع صوت طلق ناري فيصرخ منها التمثيلية بهذه الجملة المعبرة :
اندريه (ملتفتا على حين غرة) - انت قتلتها -



مشهدية اخرى هي بيلا فيتا لا تقل حزنا واكتئابا عن المزمة وتصور مشاعر وانفعالات ماثلة . الى جانب مشهديات اخرى عديدة تصور نوعا من العقلية التي تفرق في التفصيل وتتصخر في ذهنية مقيدة بالثوابه والقشور . ومثل هذه الدراسة تمثيلية جورج كوفمان الذي يخلق ابطلا يلح على اظهارهم منشفين في امر بسيط مهملين الجو العام والنقاط الرئيسية ...

المسرحيات باجمعها موفقة وقد احسن المترجم اختيارها وتقديمها للعربية . اما الاسلوب وهو هنا في ثوب ترجمي فثوب يبدو وكأنه غير مستورد .

الا ان عجمة الترجمة تبدو احيانا بل تخدش الذوق القرائي او الاذن العربية التي تتقبل بشكل عام المسحة العربية لسائر مترجمات سمير شيخاني .

لا شك بوجود مؤاخذات لغوية بل وعديدة ، وهنات تركيبية تعبيرية متناثرة هنا وهناك وسببها الاسلوبية الكتابية عند المترجم التي تنصف بالبشر والانسيابية السريعة او بكلمة اخرى انه التدفق في التركيب بل والتدفق الشديد هو الذي يدفع الى التسرع الطائش في تقديم بعض اعمال شيخاني الترجمة الرحبة .

ويلاحظ مرارا ان الاديبي يلهث عند محاولته للحاق بالافعوانية التعبيرية الاجنبية من تقطع للجمل وتوصل لها ثم تدرج وقفز او انسياب . الا ان الثوب الذي ينسجه للمسرحيات لا يمنع الشعور بحرارة وحيوية الانفعالات المدروسة ودقها ومطابقتها .

واخيرا ، فان التصفح لكتب هذا الرجل الوافر النشاط والذي اعطانا ادبا ذا قيمة ممتازة ، يظهر قدرته على سرعة العطاء والتنسيق بين مصادر متفرقة وهو يناغم حتى في الصفحة الواحدة بين صور وتزاويق وتعاريف فترى الجهد المبذول بسهولة وتري في هذا الجهد روح الشباب وحيويته ونشاطاته وخير لهذا الاديبي ان يزيد من عنايته بكتبه ورعايته عليها فليس الامر بكثرة الانتاج وتنوعه دون ان نعني بذلك قلة الاحترام والمحبة بل والتقدير لهذه الجهود وهذه الهمة المنطلقة ..

علي زيعور

صدر حديثا :

الظلم واليُسبوع

رواية من تأليف

فاضل السباعي

دار الاداب

٢٥٠ ق . ل